

الفصل الأول

الشَّافَعَةُ الْعُظْمَى

✽ المَوْقِفُ الْعَظِيمُ.

✽ مَوْقِفُ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

✽ مَوْقِفُ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

✽ مَوْقِفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

✽ مَوْقِفُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

✽ مَوْقِفُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

✽ مَعَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

✽ شَفَاعَةُ الرَّسُولِ - ﷺ - لِأُمَّتِهِ.

الموقف العظيم

الخرج
 مسلمٌ في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَهْتَمُونَ بِذَلِكَ، أَوْ فَيَلْتَهُمُونَ لِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: «لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا..»» .



هذه بداية حديث طويل في الشفاعة العظمى لرسول الله ﷺ، نفي امامه وقات تأملية، نستحضر الماضي والحاضر والمستقبل، برؤية شرمية وفقه ديني لوجه الله وحده، إظهاراً للحقيقة، وذهوة إلى الناس بأن يعتصموا بالله تبارك وتعالى، ويستمبكوا بالشرع الحنيف..

وقضية البحث والحشر والجمع لوقات يوم معلوم: هي لبس الدين والعقيدة؛ لأنها تعني اليقين المطلق بالله وحده وقدرته الكاملة وسلطانه العظيم.. وتلك القضية - في مفهومها الشرعي - هي إخراج الله تبارك وتعالى الناس من قبورهم وسوقهم إلى أرض المحشر، ليلقوا جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ويصلوا إلى الخلود الأبدى في النعيم أو الجحيم..

قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾

ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١١٣﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١١٤﴾ يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكْفُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١١٥﴾ ﴿١﴾

في هذا اليوم يعترى الخلائق الهموم وينتابهم القلق وتحيط بهم الشدة..

ويبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يهتمون. فيهتمون لذلك، ويقول بعضهم لبعض، كما في رواية أخرى «ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟

ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟»

ويكون هذا القول على سبيل الإلهام؛ بأن يلقي الله تبارك وتعالى في نفوس أهل الموقف هذا المعنى، فيذهبوا إلى الأنبياء رجاء الشفاعة. فحرص أهل الموقف على الشفاعة إلهام من الله، وطلب الأنبياء للشفاعة تكريم من الله لهم، وقبول الشفاعة رحمة من الله لعباده فترجع الشفاعة إلى الله كما بدأت منه، ولهذا قال الله جل شأنه:

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿٢﴾

(١) سورة هود الآيات ١١٣ - ١٠٥.

(٢) سورة الزمر الآية ٤٤.

مَوْقِفِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

التَّابِعِ
الْقَوْلِ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
«فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُونَ :

أَنْتَ أَبُو الْخَلْقِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ
فَسَجَدُوا لَكَ.. إِشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ :
«لَسْتُ هُنَاكُمْ» فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَجِيبُ رَبُّهُ مِنْهَا».

يَذْهَبُ أَصْلُ الْمَوْقِفِ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَجَاءَ الشَّفَاعَةِ،
وَيُذَكِّرُونَهُ بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ الَّتِي تَجَعَّلَهُ أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا. فَأَدَمُ
أَبُو الْخَلْقِ، وَفِي رِوَايَةٍ «أَبُو الْبَشَرِ» : خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ تَكْرِيمًا لَهُ، وَنَفَخَ
فِيهِ مِنْ رُوحِهِ تَشْرِيفًا لَهُ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ تَحِيَّةً لَهُ..

وَالْمُرَادُ بِيَدِ اللَّهِ : قُدْرَتُهُ، وَبِرُوحِ اللَّهِ : رُوحُ خَلْقِهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ
تَكَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ
﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (١)

(١) سورة ص الآيات ٧١ - ٧٤.

وَيُرَدُّ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الْمَوْقِفِ قَائِلًا:
 «لَسْتُ هُنَاكُمْ، أَوْ لَسْتُ أَهْلًا لَهَا، أَوْ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، أَوْ نَفْسِي
 نَفْسِي»

كما وردت بذلك الروايات.. وَيُعْبَرُ عَمَّا يَرَاهُ مِنْ أَهْوَالٍ فَيَقُولُ:
 «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضْبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ
 بَعْدَهُ مِثْلَهُ..»

والمُرَادُ بغضبِ الله هنا: أهوالُ الموقفِ وشدائدُ المحشرِ التي أشار
 إليها القرآن الكريمُ في مثل قوله تبارك وتعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ
 عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ
 وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ
 بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ (١).

ثم يتذكر آدمُ عليه الصلاة والسلامُ معصيته، فيقولُ:
 «إِنَّهُ قَدْ نَهَايَنِي عَنِ الشَّجَرَةِ، فَعَصَيْتُهُ» .

ومن المعلوم أن معصية آدمَ عليه الصلاة والسلام: نسيانُ للعداوةِ بينه
 وبين إبليس، وأن آدمَ عليه الصلاة والسلام، خُذِعَ بنصيحةِ إبليس،
 عندما قال، كما حكى القرآن الكريم:

﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِبَدَيْهِمَا مَا يُورِي عَنْهُمَا مِنْ سَوءَاتِهِمَا
 وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ

(١) سورة الحج الآيات ١ - ٢.

مَوْقِفُ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

القول في حديث الشفاعة العظمى ..

تابع

قال رسول الله ﷺ: (فَيَقُولُ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

«وَلَكِنْ اتَّبَعُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ» :

قَالَ: «فَيَأْتُونَ نُوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَيَقُولُ: «لَسْتُ هُنَاكُمْ» .

فَيَذَكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَجِيبِي رَبُّهُ بِهَا) ..



يرفض آدم عليه الصلاة والسلام أن يكون شقيقاً لأهل الموقف ويرى نفسه في حاجة إلى عفو الله ورحمته، وإلى من يشفع له عند ربه.

ويقترح أن يذهب الناس إلى نوح عليه الصلاة والسلام ويصنعه بأنه أول رسول بعثه الله تعالى. والمراد أنه أول رسول بعد الطوفان أو أول رسول بعث إلى قوم كافرين. فالأنبياء قبل نوح أرسلوا إلى قوم مؤمنين، مازالوا على الفطرة لم ينشأ فيهم الكفر. لبداية الانحراف البشري بعبادة الأصنام كانت على عهد نوح عليه الصلاة والسلام.

فيذهب الناس إلى نوح عليه الصلاة والسلام ويقولون له - كما في بعض الروايات : - «يَانُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، إِشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ.. أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا ۱۹»

ووصف نوح بالعبيد الشكور جاء في قوله تبارك وتعالى:

﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٢) ﴿١﴾

وفى الأثر عن السلف أن نوحاً عليه الصلاة والسلام كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولبابه وشأنه كله. فلهذا سُمي عبداً شكوراً.

والخطيئة التي تذكرها نوح عليه الصلاة والسلام، واستحياً ربه منها هي دعوته على قومه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (١٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (١٧) ﴿١﴾

وقد دعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه بعد جهادٍ طويلٍ وصبرٍ كبيرٍ وبأساءٍ شديدة. فقد مكث فيهم نبياً رسولاً ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً، وما آمن معه إلا قليل..

ولم تكن تلك الدعوة ذنباً حتى يستخيني ربه منها، وإنما هو هضم النفس، ومعرفة عظمة الرب، وتقديس الكبير المتعال..

ويرفض نوح عليه الصلاة والسلام أن يكون شقيقاً ويقول: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ.. نَفْسِي نَفْسِي...»

(١) سورة الإسراء الآية ٣.

(٢) سورة نوح الآية ٢٦ - ٢٧.

مَوْقِفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

تتابع القول في حديث الشفاعة العظمى.. قال رسول الله ﷺ (فيقول نوح عليه الصلاة والسلام: «وَلَكِنْ اتُّنُوا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلاً» فيأتون إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيقول: «لست هُنَاكُمْ»، ويذكر خطيئته التي أصابها فيستحيى رَبَّهُ مِنْهَا)..



يرفض نوح عليه الصلاة والسلام أن يكون شفيعاً لأجل المَوْقِفِ ويدعو الخلائق إلى الذهاب لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويذكر مؤهلاته لذلك، وهي: أن الله تبارك وتعالى اتَّخَذَهُ خَلِيلاً..

وقد نصَّ القرآن المجيدُ على خُلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَأَتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ (١)

والخُلةُ هي المودة والحب الخالص، لأنها تتخلل النفس وتتوسط القلب. فإبراهيم ﷺ بلغ المُنتهى في الحب لله تبارك وتعالى.. وقد وُصِفَ بهذه الخُلة أيضاً سيدنا محمد ﷺ :

(١) سورة البناء الآية ١٢٥.

كما جاء في صحيح الحديث: «أيها الناس لو كنتم متخذين من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله». ويأتى الناس إبراهيم عليه السلام ويسألونه الشفاعة، فيقول: «لست أهلاً لها، نفسي نفسي. إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»..

ويذكر إبراهيم عليه السلام خطيئته أو كذباته، فيستحي أن يسأل الله الشفاعة. وكذبات إبراهيم عليه الصلاة والسلام هي من المعارض، التي تحتل وجهين. وقد رخص فيها الشرع، وليست ذنباً يؤاخذ به الإنسان، لكنه همم النفس واستشعار عظمة الرب. وهذه الكذبات جاءت في صحيح البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات: بثنتين منهن في ذات الله عز وجل، هي قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (١) وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ (٢)».

وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى علس جبار من الجبابرة، قيل له: إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: «من هذه؟» قال: «أختي». فأتى سارة قال: «ها سارة، تبيس علي وجه الأرض مؤمن غيبي وغيرك، وإن هذا سألني عنك، فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني». فأرسل إليها، فلما دخلت

(١) سورة العافات الآية ٨٩.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٦٣.

عَلَيْهِ، ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ، فَأَخَذَ^(١) فَقَالَ: «ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أُضْرِكِ»،
فَدَعَتِ اللَّهَ، فَأَطْلِقِ..

ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ، فَأَخَذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ، فَقَالَ: «ادْعِي اللَّهَ لِي
وَلَا أُضْرِكِ»، فَدَعَتِ، فَأَطْلِقِ؛ فَدَعَا بَعْضُ حَاجِبَتِهِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي
بِإِنْسَانٍ: إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ، فَأَخْدَمَهَا هَاجِرًا، فَاتَّقَهُ وَهُوَ
قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: مَهَيْمٌ (مَا الْخَيْرِ)؟

قَالَتْ: «رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكَافِرِ - أَوْ الْفَاجِرِ - فِي نَحْرِهِ وَأَخْدَمَ هَاجِرًا» قَالَ
أَبُو هُرَيْرَةَ: تِلْكَ أُمَّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ .. (أى : أعراب البادية).

(١) فقبض الله يد الطاغية فحلت

مَوْقِفُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

القول في حديث الشفاعة العظمى...
تتابع قال رسول الله ﷺ: (فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: «وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَلَيْهِ
 السَّلَامُ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ» .
 فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَيَقُولُ: «لَسْتُ هُنَاكُمْ» ، فَيَذْكُرُ
 حَظِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا) ..

تنحى آدمُ ونوحُ وإبراهيمُ عليهم الصلاة والسلام عن طلب الشفاعة لأهل
 الموقف، ووصل الناس إلى موسى عليه الصلاة والسلام، وكانت مؤهلاته
 عندهم لطلب الشفاعة هي أن موسى كليم الله تبارك وتعالى، وقد أنزل
 عليه التوراة. وقد جاء هذا الوصف لموسى عليه الصلاة والسلام في القرآن
 المجيد. فقال تبارك وتعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (١)
 وقال جل شأنه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ (٢)
 وكلام الله تبارك وتعالى صفته القديمة، وحقيقة الصفة تفهم في إطار
 قوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٣)

(١) سورة النساء الآية ١٦٤.

(٢) سورة المائدة الآية ٤٤.

(٣) سورة الشورى الآية ١١.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْرًا أَحَدٌ﴾ (١).
 وقد حاول البعض أن يقرأ لفظ الجلالة منصوباً «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا»
 على معنى أن موسى هو المُتَكَلِّم. وهذا معنى مرفوض وقراءة تتنافى مع
 قوله جل شأنه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ (٢).

فإنشد الكلام إلى الله تبارك وتعالى صريحا من غير احتمال فيه..
 وينضم موسى عليه الصلاة والسلام إلى طائفة الأنبياء الذين يشعرون
 بالاستحياء من الله تبارك وتعالى، ولا يرون أنفسهم أهلاً للشفاعة،
 ويذكر موسى عليه الصلاة والسلام خطيئته، وحى قتل أحد المصريين
 الذى اعتدى على أحد الإسرائيليين. وجاء ذكر ذلك فى قوله تبارك
 وتعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ
 يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَى الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى
 الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ
 عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ
 هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ (٣).

إن حقيقة الموقف لم يكن قتلاً ولا شروعا فى قتل، وإنما كان إنقاذاً
 للضعيف من أيدي القوى. فوكر موسى عليه الصلاة والسلام للقبطى من
 باب دفع الصائل الظالم ليحجزه عن ظلمه، فهو وكز صادف أجلا..

(١) سورة الإخلاص الآية ٤.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٣.

(٣) سورة القصص الآيات ١٥ - ١٦.

ومع ذلك ظل موسى عليه الصلاة والسلام نادمًا تائبًا مُستغفرًا. وقد تاب الله عليه واجتباها واختاره واصطنعه لنفسه. قال تبارك وتعالى:

﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾^(١).

وقال جل شأنه: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾^(٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ﴾^(٣).

(١) سورة طه الآية ١٣.

(٢) سورة طه الآية ٣٦.

(٣) سورة طه الآية ٤١.

مَوْقِفُ عَيْسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

التَّوَالِدِ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الْعَظْمَى.. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
 (فَيَقُولُ مُوسَى: «وَلَكِنْ انْتُوا عَيْسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ». فَيَأْتُونَ
 عَيْسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ: فَيَقُولُ: «لَسْتُ هُنَاكُمْ».)

يتعاقب أهل الموقف على الأنبياء، كل نبي يُرشدهم إلى مَنْ بعده،
 حتى يصلوا إلى عيسى عليه الصلاة والسلام.

ومؤهلات عيسى عليه الصلاة والسلام عند أهل الموقف لطلب الشفاعة،
 هي أن عيسى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، وقد جاء هذا الوصف في القرآن المجيد
 في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ
 وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (١).

ووجه تسمية عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْكَفَّةِ أَنْ الإرادة الإلهية
 العُلْيَا تمخضت فيه وخرقت له النواميس العامة للتوالد بين البشر،
 وشاء الله تبارك وتعالى أَنْ يَكُونَ فَكَانَ: والتعبيرُ مِنَ الْمَفْعُولِ بِالْمَصْدَرِ
 شائعٌ في لغة العرب فهو كَلِمَةٌ بمعنى مُتَكَلِّمٌ به، كما في قوله تبارك
 وتعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ (٢) أي: مخلوق الله.

(١) سورة النساء الآية ١٧١.

(٢) سورة لقمان الآية ١١.

وقد يأتي في لغة العرب الوصف بالمصدر بدلاً من اسم الفاعل أو الصفة المشبهة للمبالغة، فيقال: فلان علمٌ وكرمٌ أي: عالمٌ وكرمٌ.. فالكلمة في حق عيسى ﷺ أوفى وأجدر، لأنه تكلم في الجهد فهو كلمة بمعنى مُتَكَلِّم. ولاشك أن البشر جميعاً والكائنات كلها بإرادة الله تبارك وتعالى، وكلمته التكوينية ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ لكن عيسى عليه الصلاة والسلام خصَّ بكونه كلمة الله أو رُوحَ الله تشریفاً وتكريماً. فالإضافة على معنى الإصطفاء، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ (١).

ويرى عيسى ابن مريم ﷺ أنه ليس أهلاً لطلب الشقاعة. إن أهل الموقف يقولون له: «يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في الجهد وكلمة منه - تعالى - ألقاها إلى مريم وروح منه - تعالى - فاشفع لنا إلى ربك..» «ألا ترى مانحن فيه؟ ألا ترى ماقد بلغنا؟» فيقول لهم عيسى ﷺ: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلاً مثله، ولن يغضب بعده مثله.. نفسي نفسي»

وتضيف هذه الرواية أن عيسى ﷺ لم يذكر له ذنباً، أي عملاً خلاف الأولى: لأن الأنبياء جميعاً معصومون من فعل الكبائر وتعتمد الصغائر؛ فهم القدوة الكاملة للبشر، وماورد من إطلاق لفظ الذنب أو المعصية على بعض أفعالهم فهو من قبيل هضم النفس، واستشعار عظمة الرب، ومن باب «حسنات الأبرار سيئات المقربين»..

(١) سورة الأعراف الآية ٧٣.

مع سيدنا محمد ﷺ

القول في حديث الشفاعة العظمى..

تابع

قال رسول الله ﷺ: (فَيَقُولُ عِيسَى): «وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ: عَبْدًا قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ». قَالَ: «فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي؛ فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا..»

ينتهي المطاف بأهل المحشر إلى سيدنا محمد ﷺ بنصيحة عيسى عليه الصلاة والسلام، إذ يقول لهم: «ائْتُوا مُحَمَّدًا: عَبْدًا قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ» فهو ﷺ العبد الكامل العبودية لله رب العالمين. والتعبير بقوله: «قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ». يعني: التنزية له ﷺ عن كافة الذنوب، فهو مُطَهَّرٌ تَطْهِيرًا..

وفي رواية أخرى: يقول أهل المحشر:

«يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ.. أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا بَلَّغْنَا؟» فهو خاتم الأنبياء، به خُتِمَتِ السلسلة الطاهرة التي بدأت بآدم وتغلغلت في كافة الأزمنة والأمكنة، قال تبارك وتعالى:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ
النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (١)

ويتحمل رسول الله ﷺ الشفاعة لأهل المولى، وهي الشفاعة العظمى
التي يبدأ قبورها الفصل بين الخلائق وحسابهم، ويقول: «أنا لها...»
ويستأذن الرسول ﷺ على ربه لطلب الشفاعة بالهام من الله
عز وجل، فيؤذن له، ويحضر الرسول ﷺ ساجداً لربه.

وفي رواية: «فأنتطبق.. فأبى تحت العرش فأقع ساجداً لربى.. ثم
يفتح الله عليّ، ويُلهمني من محامديه وحسين الثناء عليه شيئاً لم يفتحهُ
لأحد قبلي».

وهذا الحمد والثناء: قبل السجود وأثناءه وبعده. ففي رواية «فأنتطبقُ
فأستأذنُ عليّ ربّي، فيؤذنُ لي، فأقومُ بين يديه، فأحمدُهُ بمحامد لا أُقَدِرُ
عليه (أي الحمد) الآن، يُلهمنيهِ الله، ثم أجرُّهُ ساجداً..»

وهذا الحمد المُنهم يفتنه النداء الإلهي: اِرْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ،
قُلْ تَسْمَعُ، سَلْ تُعْطَى، اشفَعْ تُشْفَع. فيتوالى الحمد من رسول الله ﷺ
بتعليم الهي وفتح رباني..

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

شَفَاعَةُ الرَّسُولِ لِأُمَّتِهِ ﷺ

تتابع

القول في حديث الشفاعة العظمى..

قال رسول الله ﷺ: (فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي.. فَيُؤْذَنُ لِي.. فَإِذَا
أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا.. فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ.. فَيَقَالُ: [يَا مُحَمَّدُ.. اِرْفَعْ
رَأْسَكَ، قَدْ تَسَمِعَ.. سَلْ: تُعْطَى.. اِشْفَعْ: تُشْفَعُ]
فَارْفَعْ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يَعْلَمُنِيهِ رَبِّي.. ثُمَّ أَشْفَعُ.. فَيَحْدُ
لِي حَدًّا.. فَأُخْرِجُهُم مِّنَ النَّارِ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.. ثُمَّ أَعُودُ فَأَقْعُ سَاجِدًا..
فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي..

ثُمَّ يُقَالُ: [اِرْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ..

قُلْ: تَسْمِعُ، سَلْ: تُعْطَى.. اِشْفَعْ: تُشْفَعُ:

فَارْفَعْ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يَعْلَمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ.. فَيَحْدُ لِي
حَدًّا.. فَأُخْرِجُهُم مِّنَ النَّارِ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَلَا أُدْرِي فِي
الثَّلَاثَةِ.. أَوِ الرَّابِعَةِ.. قَالَ: فَأَقُولُ: «يَا رَبِّي، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ
حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ» ..)



بعد الشفاعة العظمى لفصل الخطاب بين الخلائق، والمقام المحمود
لرسول الله ﷺ الذي يخمد فيه الأولون والآخرون: تبدأ شفاعة
الرسول لأُمَّتِهِ..

وتمرُّ هذه الشفاعة بمراحل، في كل مرحلة يأخذ الرسول ﷺ مجموعة من أهل النار ويُدخلهم الجنة ويستمرُّ هكذا مراتٍ ثلاثاً أو أربعاً، حتى لا يبقى في النار إلا من يخلد فيها وهم الكفار..

وجاءت رواية في حديث الشفاعة العظمى تُفيد أن هناك مجموعة من أمة الإسلام، تسبق هذه المراحل، وتختصُّ بالذين لا حساب عليهم.. فيأخذهم الرسول ﷺ من أهل المحشر إلى الجنة مباشرة. وجاء في هذه الرواية أن هؤلاء الذين لا حساب عليهم يدخلون الجنة من بابها الأيمن وأن هذا الباب واسع جداً.. قال عليه الصلاة والسلام: (فَارْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: «يَا رَبُّ، أُمَّتِي أُمَّتِي».. فيقال: [يا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ، مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِي مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ]..

والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة: لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى.. والمصراع: جانب الباب.. وهجر: مدينة عظيمة في البحرين وهي غير هجر المشهورة بصناعة القلال، فهي إحدى قرى المدينة.. وبُصْرَى: مدينة بينها وبين دمشق ثلاث مراحل بينها وبين مكة مسيرة شهر..